بسم الله الرحمن الرحيم

انظروا ماذا فى السموات

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ـ وبعد :

فرغم أن الايمان بالله أمر فطر عليه الناس جميعا حيث كان هو العهد الاول الذى أخذه الله على الناس وهم فى أصلاب آبائهم تبعا لقوله تعالى « واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون » ١٧٢ ـ ١٧٣ الأعراف . فالكل مفطورون على الايمان بالله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من مولود الا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه »

رغم ذلك فان الاسلام يدعو الى اثارة الحواس للنظر فى ملكوت السموات والارض ، حتى يكون ايمان المرء بالله مبنيا على أساس قوى من الفكر والاقتناع حيث يقول تعالى « قل انظروا ماذا فى السموات والارض » ١٠١ يونس . ويقول عز وجل « أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شىء » ١٨٥ الأعراف .

والنظر فى ملكوت السموات والارض يتطلب أن يقف الانسان

على ما تم التوصل اليه من علوم هدى الله الناس اليها « ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء » ٢٥٥ البقرة • فان الوقوف على بعض هذه العلوم يتيح للانسان فهم الحكمة من هذا القسم الذى أقسمه ربنا عز وجل حين يقول « فلا أقسم بمواقع النجوم • وانه لقسم لو تعلمون عظيم » ٧٥ ــ ٧٦ الواقعة • وكما يقول علماء اللغة فان النفى الذى يسبق القسم يدل على عظم القسم وبالتالى على عظم المقسم به •

واذا كان العلم قد توصل الى معرفة أن الشمس أكبر حجما من الارض بمقدار مليون وثلث مليون مرة فقد توصل بعد ذلك الى أن نجم « الشعرى » الذى ورد ذكره فى القرآن فى قوله تعالى « وأنه هو رب الشعرى » ٤٩ النجم •• توصل العلم الى ان هذا النجم أكبر من الشمس٥٠٠ مرة وأكثر ضوءا منها بمقدار ٥٠ مرة • ولكن ضوءه لا يصل الينا للمسافة الشاسعة التى بينه وبين الارض والتى تبلغ مليونا من المرات مما بين الشمس والارض •

وكلما وقف الانسان على شيء مما يتم التوصل الى معرفته عن هذه الكواكب والمجرات (١) ازداد يقينا بأن ملك الله عز وجل ملك واسع عريض لا يمكن للعقول أن تصل الى حدوده أو أبعاده •

* * *

ان الذى دعانى للكتابة فى هذا الموضوع خبر نقلته وكالات الأنباء مؤخرا أن الباحثين قد أعلنوا أن المعلومات التى نقلها القمر الصناعى

---

(١) المجرة مجموعة من الأقمار والكواكب تدور فى فلك خاص بها بانسجام مع باقى المجرات .

المسمى (ايراس)قد أوضحت أن المجـرة التى اكتشفت عام ١٩٦٦ م وأطلق عليها اسم (ايه آر بى ٢٢٠) تصدر طاقة حـرارية واشعاعية تماثل طاقة الشمس بحوالى ألفى مليار ضعف (تكتب بالأرقـام هكذا ٢٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠) كما ذكـر الباحثون أن القمر (ايراس) والذى تم اطلاقه فى يناير من العـام الماضى قد تمكن من مراقبة ٢٠ ألف مجـرة من بينها مجـرة (ايه آر بى ٢٢٠) التى تبعـد عن الارض نحو ٣٠٠ سنة ضوئية .

وهذا الخبر بالطبع نشر فى زاوية جانبية باحدى الصفحـات الداخلية . ولا أظن أن قراء الجريدة أو الجرائد العالمية التى نشرته قد وقفوا أمامه طويلا لينظروا ماذا فى السموات . ولو نظروا لوجدوا :

١ ــ أن المجرة التى أطلق عليها (ايه آر بى ٢٢٠) تصـدر طـاقة حرارية واشعاعية لا يمكن تصورها (حوالى ألفى مليار ضعف مـن طاقة الشمس) أما عن طاقة الشمس فقد قرأت من قبل أن الطاقة التى تخرجها الشمس فى الثانية الواحدة توازى خمسة آلاف بليون قنبلة ذرية . فهل يمكن بعد ذلك أن نتصور الطاقة الحرارية لهذم المجرة ؟ أم أنـه شىء يعجـز العقـل البشرى عن تصـوره ؟

٢ ــ هذه المجرة نفسها تبعـد عن الارض ٣٠٠ سنة ضوئية بمعنى أن ضوءها يصل الى الارض بعد ٣٠٠ سنة . فاذا علم المرء أن ضوء الشمس يصل الى الارض فى زمن قدره حـوالى ٨ دقائق فقط فقد علم تبعا لذلك أن المسافة بين الارض وهذه المجرة لا يمكن تصورها .

٣ ــ اذا كان القمر الصناعى المذكور فى هذا الخبر استطاع أن يراقب ٢٠ ألف مجرة فما هو عدد المجرات الأخرى التى لم تراقب . . ؟ شىء لا يعلمـه الا الله .

٤ ـ ورغم هذه الكثرة العددية للمجرات والكواكب والنجـوم فان تصادما لا يقع بينها • ولا يسبق كوكب كوكبا آخر فى دورانه «والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقـدير العزيز العليم • والقمر قدرناه منـازل حتى عاد كالعرجون القديم • لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمـر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون » ٣٨ ــ ٤٠ يس •

* * *

وبعد :

ليتنا ننفذ قـول الله تعالى « قل انظروا ماذا فى السمـوات والأرض » لنجدد ايماننا بالله سبحانه • وليت الملحدين الذين ينكرون وجود الله عز وجل ، والمشركين الذين يتخذون من دونه آلهة أخرى•• ليتهم يستمعون الى القرآن حين يقول « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج • والارض مددناهـا وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج • تبصرة وذكرى لكل عبد منيب • ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد• والنخل باسقات لها طلع نضيد • رزقا للعباد وأحيينا به بلـدة ميتـا كـذلك الخروج » ٦ ــ ١١ ق •

ان الاسلام يحث على هذا التفكر ويجعله منهجا دائما للمسلم ليجلو ما قد يعلو قلبه من نقط سوداء قبل أن تتكاثر وتصبـح رانا يطمس القلب كله « ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب • الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » ١٩٠ ــ ١٩١ آل عمران •

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه •

رئيس التحـرير

نفحات قرآنية

بقلم بخاري أحمد عبده

بسم الله الرحمن الرحيم

« يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون • أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون• شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس ، وبينات من الهدى ، والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا ، أو على سفر ، فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ، ولعلكم تشكرون »

عود الى بدء

فى رحلتنا البصيرة مع نفحات آيات الصيام راعتنا « مفاعلات » التحرير تشع خلال الآيات ، تبطل رق الهوى ، وتنقض احابيل الشيطان ، ثم تنقض (بفتح القاف ، وتشديد الضاد) على مرابض الباطل تدمغ الفرى (بكسر الفاء وفتح الراء جمع فرية) وتوهى العرا (جمع عروة) وترد كيد الكائدين ..

ومفاعلات التحرير التى تنعش خلال الآيات تعتق الرقاب العانية (الأسيرة) وتحرك قوى الايمان الكامنة ، وتبارك الأنفس حتى تحدد الوجهة ، وتسلم الوجه البارك الى الله وحده . فلا تستفزها رقى (بضم الراء وفتح القاف . جمع رقية بضم الراء واسكان القاف) الشيطان . ولا يستأثر بها تراث الآباء ، أو تقاليد البيئة (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ، أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير . ومن يسلم وجهه الى الله ، وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ، والى الله عاقبة الأمور) لقمان .

وعلى هدى تلك المفاعلات أبصرنا أقنعة الزيف تتطاير فتشى بالخبثاء الماكرين ، وتفضح تدابير المجرمين المتربصين .

وفى رحلتنا — تلك — واكبنا — بعقيدة مجلوة ، وقلب مؤمن — أرواح الحرية ترفرف عبر كل الهدايات القرآنية ، وتستنقذ من ظلمة الطين ، وأسر المحسوس ، ومن ذل الأنداد المتدافعة المتشاكسة التى لا تفتأ تغر ، وتغرى الانسان حتى يذل ، وينحنى ، ثم يمضى مكبا على وجهه حشو أديمه ترهات ، وخدع تتفاعل مع مركب النقص الذى أحكم عقدته ذل السنين . يمضى ينعق نعيق البهم ، وينبب نبيب التيوس ، ويهر هرير الكلاب .

ورأينا أمة احتواها الفراغ فغدت تختنق ، وتتخبط صماء ، عمياء ، نهب حملات غزو فكرى وغير فكرى. والقرآن يتداركهم فيوسع الخناق ، ويملأ الفراغ ، ويطلق من حقه قذائف تهشم الأغلال فتفك الرقاب .

وأرواح الحرية الخفاقة لا يطعمها ولا يجد شذاها الا من رهفت مشاعره وسلمت لبه حواسه فغدت تستقبل وترسل ما تستقبل تغذو به كل قوى الادراك التى تنشط كى تعى، وتتأثر ، وتمثل ، وتختزن .

أما المبتلون ذوو الحواس المتبلدة فانى لهم أن يحسوا ؟

ولقد ابتليت أمتنا بذوى الحس الصفيق المتبلد الذى يورث الجمود ، وينذر بالعته ، والعمه .

والعمه نعني به عمى الفؤاد (أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، أو آذان يسمعون بها ، فانها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) الحج

والعمه بهذا المفهوم مظهر من مظاهر غضب الله ، ومقته ، وازدرائه للضالين ذوى الحس الصفيق(الله يستهزىء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون) البقرة

وهو — بهذا المفهوم — دليل تخلى المولى عن العامهين ، وأنه سبحانه وكلهم الى أنفسهم الساقطة المتهالكة على الشعاب المنحرفة المضلة (... فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون) يونس .

ومهوى العمه مشحون بالعفن ، مترع بأجواء الغفلة ، منذر بالأخذ الوشيك (لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون ، فأخذتهم الصيحة مشرقين . فجعلنا عاليها سافلها ، وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل . ان فى ذلك لآيات للمتوسمين) الحجر .

والعته نعنى به الغفلة التى تسلم الى السكرة والتى تعطل أو تسلب قوى الحواس ، والادراك فيمسى الغافلون أنعاما بل أضل (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن ، والانس ،

لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لايسمعون بها ، أولئك كالانعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون) الأعراف .

وأولئك ، وهؤلاء استبانت سبيلهم وتحدد مصيرهم ، فلا ينبغى أن يدعوا (بالبناء للمجهول) لريادة أو يمكنوا من قيادة ، أو يتركوا فى موقع تأثير (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ، واتبع هواه ، وكان أمره فرطا) الكهف .

وأولئك وهؤلاء منهم الجاحدون المخلدون الى الارض .. المتشدقون بالمادانية ، والعلمانية .. المتخذون دين الله هزوا ، ولعبا .. المحتذون حذو النعل النعل — خطا الكافرين الموتورين شبرا بشبر ، وذراعا بذراع .

والكافرون الموتورون نهينا عن أن نتخذهم أولياء ، أو وليجة ، أو بطانة (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ، ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، والكفار أولياء ، واتقوا الله ان كنتم مؤمنين) المائدة .

وهذه الآية التى تحرم الموالاة ، وتجرم (بضم التاء وفتح الجيم ، وكسر الراء المشددة) الموالين دون أن تتعرض الى أكثر من هذا .. الآية تشرع لحالة من حالات المسلمين قد لا تكتمل فيها القدرة على ردع المستهزئين . أما اذا كان الاسلام فى ذروة القوة ، والقدرة فان دستورهم ما جاء فى آية التوبة (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ، ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) .

وتنفيذ أمر القطيعة ، والمفاصلة حسبما ورد فى آية المائدة جهاد . ولكنه جهاد المستضعفين الملتبسين بحالة من حالات الضعف .

واستطرد (١) فأقول :— ان القوى المناوئة للاسلام تعتريها فى مواجهتها للمسلمين حالات :

١ — حالة الهيبة البالغة (لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله) الحشر . وفيها يحذرون أن تبدر منهم بادرة تشى بما فى قلوبهم . فلا عجب اذا اتخذوا اللسان غطاء لما يعتمل فى الجنان فأثنوا ، وهنئوا ، ونمقوا الكلام وداهنوا وأبدوا المودة ، وتشدقوا ، واعتذروا عن مواقف الشبهات ، وبرروا ... الخ . ولعل هذا ايحاء قول الله (.... يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ...) الفتح . (كيف وان يظهروا عليكم لا ترقبوا فيكم الا ، ولا ذمة ، يرضونكم

---

(١) أملى هذا الاستطراد غربة الاسلام ، ومحنة المسلمين .

بأفواههم ، وتأبى قلوبهم) التوبة ٧ (لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله) الحشر .

٢ ــ حالة الفرصة الآمنة . وهذه تلمسها وانت تقرأ قوله سبحانه (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، واذا خلوا الى شياطينهم قالوا ، انا معكم انما نحن مستهزئون) البقرة . وقوله سبحانه (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون) البقرة .

٣ ــ حالة انكشاف الغمة وافلات اللسان (... فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت ، فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير) الأحزاب

٤ ــ حالة الظهور والتمكن . فلا مودة ، ولا مجاملة ، ولا مسالمة بل عدوان واساءة ، وطعان (ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ، ويبسطوا اليكم أيديهم ، والسنتهم بالسوء) الممتحنة .

وواضح أن كل حالة من هذه الحالات رد فعل بليغ ينم عن مكانة المسلمين ومستواهم العسكرى . والمستوى الذى يرضى الله هومستوى الظهور والتمكن ، مستوى القمة ، والذرا . أما مستوى الحفر ، والقيعان ، والمنفوح فهو مسارح الديدان ، ومكامن الحشرات .

والمسلم فى ادنى حالاته لا ينبغى أن يهبط عن المستوى الذى يمكنه فيه أن يتخذ القرار ويصمد ، أما أن يحشر الى الله هشيما تذروه الرياح فذلك هو الخسران المبين .

فاذا كان ذلك هو موقف الاسلام ممن اتخذ آيات الله هزوا من غير المسلمين ، فماذا عسى أن يكون موقفه من مسلمين يتطاولون على الشريعة ، ويستهزئون بأحكامها ، ويرتضون أن يصبحوا ــ بالسنتهم وأقلامهم ، وكل امكاناتهم ــ سهاما فى جعبة الشيطان ، ونصالا فى كنانة الأعداء ؟

ان المسلم الذى مس الايمان شغاف قلبه يحكم ــ للتو ــ على أصحاب مثل تلك الأقلام بالردة ، والزوق ، ثم يكر عليهم بالوعظ الشافى ، والقول البليغ ، والاعراض الزاجر الأليم اعمالا لقول الله (أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم ، فأعرض عنهم ، وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا) النساء ٦٣ . ذلك هو المتاح فى ظروف غيبة الشريعة ، وانتشار مد الطاغوت (الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) ٦٠ النساء

ومن أولئك ، وهـؤلاء جـامدون يشتملون بمعلوماتهم اشتمال الصماء والاسـلام مـع دقة تعاليمه مرن ، فضفاض يسع ببحبوحته الاولين ، والآخرين . هؤلاء تمرق بهم الأيام فلا ينتبهون وتغرى أمتهم الاحـداث ولا ينتفضون ، وتدحرجهـم الأقدام فلا يتأوهون ، تحسبهم — حين تنعم فيهم النظر — أيقاظا وهم رقود ، وتظنهم — بجامع السمت والهيئة — وحدة متعاطفة . والحق انهم صورة ناطقة لقول الحق جل وعلا « بأسهم بينهم شديد ، تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ... » فانهم فهم مقتضى الحال، وادراك عامل الزمن وعامل المكان .

وهؤلاء أفزعتهم فرقعة السياط ، وحشرتهم صيحات الزجر ، ودفعات الركل حتـى انزووا وتقوقعـوا فى محارات ضيقة ظنوها كل الدين . والدين أرحب ، وأرغد ، وأرفع مما راوا ، وخالوا

هؤلاء الجامدون — أيضا — أفتهم تبلد الحس .

والبلادة كما تتأتى مما ران على القلب من شر .. تتولد كـذلك من طول المعاناة أو من عضة اليأس ، أو من غمرة الحيرة ، أو من استفحال عقدة النقص أو .. أو .. وحينئذ تركد العقول ، ويجمد الفكر ، ويتسنه ويأسن ، فيعجز المصابون بهذا الداء عن مجاراة العالم ، وملاحقة الركب، وعن ادراك سنن المولى فى الكون ، وعن استثمار نعـم الله المبثوثة فى تضاعيف الوجود .

والجامدون قد ينطوون على خير. ولكنهم فى مسيس الحاجة الى يـد آسية تفتح لذلك الخير المنافذ ، وتجلو ما انعقد حوله أو فوقه من قتام ، وغمام ، وعلل نفسية جلية ، وخفية، تفقد التوازن ، وتغرى بعشق الذات، والتمحور — بلا فقه — حـول مـا عرفوا ، والفوا .

نعم هم فى مسيس الحاجة الـى قيادة رشيدة تجمع بين خصـائص امام الدعوة ، وامـام السياسـة والدولة .

ولكن لم هذا اللف ، والنشر ، والحديث ذو الشجون عن الجمود ، والجامدين ؟

ثم ما علاقة هذا الحديث الساخن بالنفحات ، وآيات الصيام ؟ اهـى الملابسة الوثيقة التى بين الجمود ، والقيود ، وبين التطور ، والتحرر ؟

قد يكون ادراك تلك العـلاقـة حافزا من الحـوافز . ولكن الذى اهمنى أمر وراء هذا . امر محـوره رمضان ، والعيد ، وزينة الحكماء ، فالى لقاء قريب والله المستعان .

بخارى أحمد عبده

باب السنة

يقدمه

فضيلة الشيخ محمد علي عبد الرحيم

الرئيس العام للجماعة

الهجـــــرة

كانت فرجا ومخرجا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام

بعث النبى صلى الله عليه وسلم بين قبائل كالوحوش فى العقائد والعادات ، يتفاخرون بالأحساب ، ويتقاطعون بالأنساب ، لا يهدأ القتال بين قبائلهم ، اغارة وثأرا ، فينهبون التجارات ، ويشنون الغارات ، وكان يسودهم مجتمع الطبقات ، فيهم السادة ، وفيهم الأرقاء ، يدينون بالوثنية فمنهم من يعبد الأصنام ، ومنهم من يعبد الأشجار ، ومنهم من يعبد الكواكب وغيرها .

ومن أسوأ عاداتهم وأد البنات مخافة الفقر ، أو خشية العار أو السبى فى الحروب . كما كانوا يمارسون كثيرا من العادات الرذيلة ، التى تقضى على المال والبدن ، كالخمر ولعب الميسر .

ومن الانصاف أن يوصف بعض منهم ببعض الخلال الكريمة ، كالكرم والسخاء ، والمروءة والنجدة ، ولكن ذلك كان على سبيل الفخر والعجب والرياء .

ومن فرط ما وقعت فيه القبائل المتعادية الضالة أن برم بعض العقلاء منهم بهذا الحال ، وتمنوا أن تزول من مجتمعهم ، ليقوم العدل محل الظلم .

وتجلى ذلك فى حلف الفضول ، فقد تعاهد بعض سراتهم وعقلائهم على رفع الظلم ، وانصاف المظلومين • وشهد الرسول صلى الله عليه وسلم حلف الفضول قبل البعثة فى دار عبد الله بن جدعان (بضم الجيم وسكون الدال) • وقال عنه صلى الله عليه وسلم (لقد شهدت حلفا فى دار ابن جدعان ، ما أود أن لى به حمر النعم) أى أن مشاهدة هذا الحلف خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يكون أغنى العرب فى الدنيا بكثرة الابل الحمراء •

ولكن العرب لم يحترموا الحلف ، فهم أهل عداوات ونهب وسلب ، وعبادة أحجار وأوثان (ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ، ما أنزل الله بها من سلطان ان تتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس)

من أجل هذا الكرب الذى ساد العرب تطلع كثير منهم الى حياة أرقى ، وكان ذلك تمهيدا لظهور أعظم مصلح ، لأشد الأمم فى الهمجية والفوضى ، بالنسبة لما جاورهم من دول ذات حضارة ونظام كالفرس والروم •

جاء الاسلام لينتشل هذا المجتمع من وحشيته ، الى مجتمع مثالى فى العقيدة والعبادات والعادات والنظام •

دعاهم الى التوحيد الخالص ، فلا يعبد سوى الله وحده • فيشعر الانسان بالسمو والكرامة ، ولا يذل نفسه الا لخالقه • كما دعاهم الى العدل والمساواة ، فليس لانسان فضل على آخر بحسبه أو نسبه أو جاهه • وانما التفاضل بالتقوى (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) • وفى الحديث (ليس لعربى فضل على أعجمى ولا لأبيض على أحمر الا بالتقوى) • ودعاهم الى الحرية والاخاء ، وحرم وأد البنات والزنى والربا ولعب الميسر وغيرها من الموبقات •

عداء المشركين :ـ

شرع النبى صلى الله عليه وسلم يدعو بدعوة الحق سرا ، فآمن به

غير المقربين اليه : زوجه خديجة ، وعلى بن أبى طالب ، وزيد بن حارثة • وكان أسرع الرجال تصديقا برسالته أبو بكر الصديق رضى الله عنـــه •

ثم أخذت القلة من المسلمين تتزايد • فكانت اللبنة الاولى فى بناء الأمة الاسلامية • ثم أمر الله نبيه أن يجهر بالدعوة (فاصـــدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) • فتصـــدى لدعوته مشركو قريش يكذبونه ويؤذونه • وهو صابر على أذاهم • ويتحداهم بالقـــرآن أن يأتوا بسورة من مثله • فاذا عجزوا كان عجزهم برهانا على أنه من عند الله تعالى ، وأنه مرسل اليهم بهذا الدين •

ولما جمعوا بين العجز والتكذيب تمادوا عنادا واستكبارا ، ووصفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفات نابية حيث رمـــوه بالكذب وبالسحر وبالجنون •

قال تعالى (وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين) وقـــال تعالى (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون) وقال عز وجل (وقال الذين كفروا ان هذا الا قول افتراه ، وأعانه عليه قوم آخرون • فقد جاءوا ظلمـــا وزورا) •

ولم يقفوا عند هذا الحد ، بل طالبوا نبى الله بمعجزات تدل على تعنتهم واصرارهم على الكفر • قال تعالى : (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ، أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف ، أو ترقى فى السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه • قل سبحان ربى ، هل كنت الا بشرا رسولا ؟)

وقال تعالى (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم ، فقال الكافرون هذا شيء عجيب)

وكذلك تكذيبهم بالحياة الآخرة (أئذا متنا وكنا ترابا ، ذلك رجع بعيـــد) .

ومع صبر النبى صلى الله عليه وسلم وقوة احتماله على تعنتهم ، واتهامهم اياه بصفات نفاها الله عنه فى كتابه .. كانت دعـوته الـى الاسلام تشق طريقها الى القلوب المتفتحة للحق . وكلما زادت وانتشرت زادت قريش حنقا علـى النبى صلى الله عليه وسلم وعلـى من رضى بالاســلام دينا .

سبب حنق قريش وابائهم :ـ

لم يصدهم عن دين الله الا تقليد الآباء ، والأنفة من أن يتبعـوا رجلا منهم يبلغ عن ربه ، وحسدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذى سيكون له شأن عظيم ، ومكانة عليا سياسيا واجتماعيا .

كما أن هذا الدين يدعو الي نظم لم يألفوها ، وخاصة دعوته الى المساواة ، والى نبذ الأصنام ، (ولو كانت أضرحة على قبور الصالحين) حتى لا تكون محل الرجاء فى الاستعانة والاستغاثة .

ماذا فعل المشركون مع النبى صلى الله عليه وسلم ؟

كانوا يتربصون به ، وعلى رأسهم أبو جهل لعنه الله ، كان اذا رآه يصلى رماه بالقذارة ، فيحتمل الأذى فى صبر . وذات مرة عزم على أن يضرب رأس النبى صلى الله عليه وسلم بحجر وهو ســاجد وشجعته قريش على عدوانه ، وعاهدته على أن تحميه من بنى هاشم وبنى عبد المطلب ، فلما حمل الحجر ليضرب به الرسول صلى الله عليه وسلم ، ارتد مذعورا ولم يفعل . وعاد وسألوه عن السبب ، فقال :

رأيت فحلا من الابل كاد أن يلتهمنى ـ (قال تعالى : والله يعصمك من الناس) .

وبلغت العداوة والخسة ، من عقبة بن أبى معيط أن لطم الوجه الشريف ، وبصق فيه ، فدعا عليه النبى صلى الله عليه وسلم ، فمات شر ميتة يوم بدر .

وكان الحكم بن العاص يترصد النبى صلى الله عليه وسلم ويشتمه، ويمشى وراءه مستهزئا زيادة فى السخرية .

كما كانت أم جميل امرأة أبى لهب ترمى الأقذار عامدة أمام بيت رسول الله فيزيلها بنفسه صلى الله عليه وسلم .

وكانت قريش تصب عليه البلاء أشكالا وألوانا .

أما المسلمون الأولون ، فلم يكونوا أقل حظا من رسول الله صلى الله عليه وسلم . اذ كان كل رجل من قريش يعذب من أسلم من عبيده عذابا أليما . وأخذت كل عائلة تنكل بمن أسلم من أهلها . فمن ذلك أن أمية ابن خلف لعنه الله ، كان يطرح عبده بلالا على بطحاء مكة اذا حميت الظهيرة . ثم يضع صخرة عظيمة على صدره . ثم يقول له : ستبقى هكذا الى أن تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى . فيقول بلال : أحد أحد .

وكان بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وأبيه وأمه ، اذا حميت الشمس فيلقونهم على الصخور والرمال الملتهبة لتحرقهم حرارتها . ويمر بهم رسول الله فيقول (صبرا آل ياسر ، فان موعدكم الجنة) .

وبلغ بهم الجبروت أن قتلوا أم عمار ، لأنها رفضت أن ترجع عن دين الاسلام . وكان أبو جهل يؤنب الرجل ويحقره اذا أسلم . فان كان ضعيفا ضربه ، وحرض عليه السفهاء . وان كان تاجرا أنذره بكساد تجارته وضياع ماله .

الهجـرة الأولى :ـ

لما ضاق النبى صلى الله عليه وسلم بما نزل بالمسلمين من تعذيب، وعز عليه أنهم ضعفاء لا يستطيعون رد العذاب عن أنفسهم أمرهـم بالهجرة الى الحبشة ، حتى يجعل الله لهم فرجا مما هم فيه • فهاجر فريق بدينهم الى الحبشة منهم :ـ عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله ، وأبو سلمة وزوجه أم سلمة وأخـوه لأمه أبو سبرة بن أبى رهم وزوجه أم كلثوم ، وعامر بن ربيعة وزوجه ليلى ، وأبو حذيفة ابن عتبة بن ربيعة وزوجه سهلة بنت سهل ، وعبد الرحمن بن عـوف ، وعثمان بن مظعون ، ومصعب بن عمير ، وسهل بن البيضاء والزبير بن العوام • وجلهم من قريش • وكان عليهم أمير هو عثمان بن مظعون رضى الله عنهم أجمعين •

هل تركتهم قريش وشأنهم ؟ لا بل أمعنت فى الكيد لهم ، وعملت جهدها للعودة بهم من الحبشة ، فبعثت الى النجاشى عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبى ربيعة ، ومعهما هدايا الى النجاشى والبطارقة الذين معه • وطلبا من النجاشى أن يرد هؤلاء الذين ابتدعوا دينا لا هو دين العرب ، ولا دين النجاشى • لكن النجاشى ردهما خائبين ورفض أن يتقبـل منهمـا الهـدايـا •

وفى ذلك الوقت أسلم بطلان من أبطال قريش ، هما حمزة بن عبد المطلب ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما • فعلت كآبة شديدة علـى وجوه قريش لاسلام البطلين الجليلين • وتعاهدت على مقاطعة بنى هاشم وبنى عبد المطلب ، فلا يزوجونهم ولا يبيعون لهم أو يشترون منهم ، وكتبوا معاهدة فى صحيفة وعلقوها فى الكعبة توكيدا لها وتوثيقا•

والغرض من هذه المقاطعة فرض الحصار الاقتصادى والاجتماعى وتعويق سبيل الحياة على المسلمين ، وجعلهم منبوذين سجناء حتـى يمـوتـوا جـوعا •

وتحمل بنو هاشم وبنو عبد المطلب هذا الاضطهاد قريبا من ثلاث سنين ، أنفق أبو طالب ماله ، وأنفقت خديجة مالها فى هذه الفترة . غير أن بعض عقلاء قريش دعوا الى نقض هذه المعـاهدة الجائرة . فنقضت الصحيفة واستخرجت من الكعبة . فوجدوا أن الأرضة أكلتها ما عدا اسم الله فيهـا .

وأثناء الحصـار شعر المسلمون بتأثيره وضيق المقـاطعة . لكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكف عن الدعوة الى الاسلام ، فتوجه الى الطائف لعله يجد من ينصره على قريش حتى يتم أمر ربه . لكن ثقيفا بالطائف ردته ردا غير كريم .

وعلمت قريش بذلك فاشتد أذاها على المسلمين .

ان الفرج مع الكرب :ـ

ما اشتد كرب الا وهان . وان مع العسر يسرا . فلما بالغت قريش فى الايذاء ، عرض النبى صلى الله عليه وسلم الدعوة فى موسم الحج على القبائل ، وخاصة على قبيلتى الأوس والخزرج من المدينة .

ففى السنة الأولى قبل الهجرة بثلاث سنين : اتصل بهم ليلا وسرا بمنى فأسلم ٦ رجال منهم أسعد بن زرارة ، وعقبة بن عامر ، وجـابر ابن عبـد الله .

وفى السنة الثانية اتصل بهم فأسلم ١٢ رجلا من خيار الأنصار منهم عبادة بن الصامت . وعند عودتهم الى المدينة أرسل لهم مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم يفقهانهم فى الدين ويقرئانهم القرآن .

وفى السنة الثالثة أسلم ٧٣ رجلا وبعودتهم الى المدينة دعوا الى الاسلام ، فلم يبق بيت فى المدينة الا وفيه مسلم .

هؤلاء أسلموا وبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم علـى أن ينصروه اذا هاجر اليهم ، مقتنعين بصلاحية الدعوة . وبذلك وجد الاسلام بيئة خصبة حرة لنشر الدين .

وبذا أذن الرسول للصحابة أن يهاجروا الى المدينة سرا .

غير أن قريشا لما علمت بمحالفة الأوس والخزرج لنصرة الرسول ، ثم شروع الصحابة فى الهجرة بلا امتناع ولا مانع طار صوابها . فتآمرت على اغتيال الرسول صلى الله عليه وسلم . واجتمعوا للتشاور . فأشار بعضهم بقتله ، وأشار البعض بحبسه ، وأشار غيرهم بنفيه : وانتهى بهم الأمر الى أن يجمعوا من كل قبيلة رجلا شجاعا ، يعطى سيفا مصارما ، فيضربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربة رجل واحد وبذلك يتفرق دمه فى القبائل . فلا يستطيع بنو عبد مناف أن يحاربوا العرب جميعا . فأوحى الله الى نبيه بمكرهم . فهاجر هو وصديقه أبو بكر الى المدينة بالطريقة المفصلة فى كتب السير والسنين ، ونجاه الله من كيد قريش . قال تعالى (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)

ومن هذا يتبين أن الدعوة الاسلامية كانت فى مكة مستضعفة فشقت طريقها الى المدينة ولم يكن لها من السلاح الا الحق والعدل .

ولما اعتدى المشركون على المسلمين فى وطنهم الاول وفى وطنهم الثانى بعد الهجرة ، أذن الله لهم بالقتال فقال (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ... الآية) ٤٠ الحج .

وبهذا الايمان الصادق ، وقوة الحق الذى استمسك به النبى وأصحابه وقاوموا عوامل الطغيان والشرك ، عاش النبى صلى الله عليه وسلم فى دار الهجرة عشر سنين يؤسس الدولة الاسلامية على التوحيد والعدل والحرية والمساواة فدخل الناس فى دين الله أفواجا .

وكانت أيام رسول الله فى دار هجرته عزا ونصرا للمسلمين ، وحماية للدين . وانطلق شعاع الاسلام يرسل الأضواء فى الآفاق . والعاقبة للمتقين .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

محمد على عبد الرحيم

وجوب العمل بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وكفر من أنكرها

بقلم سماحة الشيخ : عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد المرسل رحمة للعالمين ، وحجة على العباد أجمعين ، وعلى آله وأصحابه الذين حملوا كتاب ربهم سبحانه وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم الى من بعدهم بتلية الأمانة والاتقان والحفظ التام للمعاني والالفاظ رضى الله عنهم وأرضاهم وجعلنا من أتباعهم باحسان

أما بعد : فقد أجمع العلماء قديما وحديثا على أن الأصول المعتبرة فى اثبات الأحكام ، وبيان الحلال والحرام ... هى كتاب الله العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ثم سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام الذى لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ، ثم اجماع علماء الأمة . واختلف العلماء فى أصول أخرى أهمها القياس وجمهور أهل العلم على أنه حجة اذا استوفى شروطه المعتبرة ، والأدلة على هذه الاصول أكثر من أن تحصر واشهر من أن تذكر :ـ

أما الاصل الاول :ـ فهو كتاب الله العزيز وقد دل كلام ربنا عز وجل فى مواضع من كتابه على وجوب اتباع هذا الكتاب والتمسك به والوقوف عند حدوده قال تعالى « اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون » وقال تعالى « وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون » وقال تعالى « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » وقال تعالى « ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » وقال تعالى « وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ » وقال تعالى « هذا بلاغ للناس ولينذروا به » والآيات فى هذا المعنى كثيرة .

وقد جاءت الأحاديث الصحاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم آمرة بالتمسك بالقرآن والاعتصام به دالة على أن من تمسك به كان على الهدى ومن تركه كان على الضلال . ومن ذلك ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : فى خطبته فى حجة الوداع « انى تارك فيكم ما لن تضلوا ان اعتصمتم به كتاب الله » رواه

مسلم فى صحيحه . وفى صحيح مسلم ايضا عن زيد بن ارقم رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال « انى تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به » فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال « واهل بيتى اذكركم الله فى اهل بيتى اذكركم الله فى اهل بيتى » وفى لفظ قال فى القرآن « هو حبل الله من تمسك به كان على الهدى ومن تركه كان على الضلال » .

والاحاديث فى هذا المعنى كثيرة ، وفى اجماع اهل العلم والايمان من الصحابة ومن بعدهم على وجوب التمسك بكتاب الله والحكم به والتحاكم اليه مع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يكفى ويشفى عن الاطالة فى ذكر الادلة الواردة فى هذا الشان .

اما الاصل الثانى :ـ

من الاصول الثلاثة المجمع عليها فهو ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقواله وافعاله وتقريره . ولم يزل اهل العلم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم يؤمنون بهذا الاصل الاصيل ويحتجون به ويعلمونه الامة . وقد الفوا فى ذلك المؤلفات الكثيرة واوضحوا ذلك فى كتب اصول الفقه والمصطلح . والادلة على ذلك لا تحصى كثرة . فمن ذلك ما جاء فى كتاب الله العزيز من الامر باتباعه وطاعته وذلك موجه الى اهل عصره ومن بعدهم لانه رسول الله الى الجميع ولانهم مامورون باتباعه وطاعته حتى تقوم الساعة ولانه عليه الصلاة والسلام هو المفسر لكتاب الله والمبين لما اجمل فيه باقواله وافعاله وتقريره .

ولولا السنة لم يعرف المسلمون عدد ركعات الصلوات وصفاتها وما يجب فيها ولم يعرفوا تفصيل احكام الصيام والزكاة والحج والجهاد والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولم يعرفوا تفاصيل احكام المعاملات والمحرمات وما اوجب الله بهامن حدود وعقوبات. ومما ورد فى ذلك من الآيات قوله تعالى فى سورة آل عمران « واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون » وقوله تعالى فى سورة النساء « يايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تاويلا » .

وقال تعالى فى سورة النساء ايضا « من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا» وكيف تمكن طاعته ورد ما تنازع فيه الناس الى كتاب الله وسنة رسوله اذا كانت سنته لا يحتج بها او كانت كلها غير محفوظة ؟ وعلى هذا القول يكون الله قد احال عباده الى شيء لا وجود له وهذا من ابطل الباطل ومن اعظم الكفر بالله وسوء الظن به ، وقال عز وجل فى سورة النحل

« وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون » وقال فيها ايضا « وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » . فكيف يكل الله سبحانه الى رسوله صلى الله عليه وسلم تبيين المنزل اليهم وسنته لا وجود لها او لا حجة فيها ؟ ومثل ذلك قوله تعالى فى سورة النور « قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين » .. وقال تعالى فى السورة نفسها « واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون » . وقال فى سورة الاعراف « قل يايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون »

وفى هذه الآيات الدلالة الواضحة على أن الهداية والرحمة فى اتباعه عليه الصلاة والسلام . وكيف يمكن ذلك مع عدم العمل بسنته او القول بانه لا صحة لها او لا يعتمد عليها ؟ وقال عز وجل فى سورة النور « فليحذر الذين يخالفون عن امره أن تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم » وقال فى سورة الحشر « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

والآيات فى هذا المعنى كثيرة وكلها تدل على وجوب طاعته عليه الصلاة والسلام واتباع ما جاء به . كما سبقت الادلة على وجوب اتباع كتاب الله والتمسك به وطاعة اوامره ونواهيه . ولما اضلان مثلا زمان من جحد واحدا منهما فقد جحد الآخر وكذب به وذلك كفر وضلال وخروج عن دائرة الاسلام باجماع اهل العلم والايمان .

وقد تواترت الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجوب طاعته واتباع ما جاء به وتحريم معصيته وذلك فى حق من كان فى عصره وفى حق من يأتى بعده الى يوم القيامة . ومن ذلك ما ثبت عنه فى الصحيحين من حديث ابى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من أطاعنى فقد اطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله » وفى صحيح البخارى عنه رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كل امتى يدخلون الجنة الا من أبى قيل يا رسول الله ومن يأبى قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى » . وخرج احمد وابو داود والحاكم باسناد صحيح عن المقدام بن معدى كرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « الا انى اوتيت الكتاب ومثله معه الا يوشك رجل شبعان على اريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه .

وخرج ابو داود وابن ماجه بسند صحيح : عن ابن ابى رافع عن ابيه

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا الفين احدكم متكئا على اريكته يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به او نهيت عنه فيقول لا ندرى ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه » .

وعن الحسين بن جابر قال سمعت المقدام بن معدى كرب رضى الله عنه يقول « حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر اشياء ثم قال يوشك احدكم ان يكتبنى وهو متكىء يحدث بحديثى فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه الا ان ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله : اخرجه الحاكم والترمذى وابن ماجه باسناد صحيح.

وقد تواترت الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه كان يوصى اصحابه فى خطبته ان يبلغ شاهدهم غائبهم ويقول لهم « رب مبلغ اوعى من سامع » . ومن ذلك ما فى الصحيحين ان النبى صلى الله عليه وسلم لما خطب الناس فى حجة الوداع فى يوم عرفة وفى يوم النحر قال لهم « فليبلغ الشاهد الغائب فرب من يبلغه اوعى له ممن سمعه » فلولا ان سنته حجة على من سمعها وعلى من بلغته ، ولولا انها باقية الى يوم القيامة لم يأمرهم بتبليغها .

فنعلم بذلك أن الحجة بالسنة قائمة على من سمعها من فيه عليه الصلاة والسلام وعلى من نقلت اليه بالأسانيد الصحيحة .

وقد حفظ اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سنته عليه الصلاة والسلام القولية والفعلية وبلغوها من بعدهم من التابعين ثم بلغها التابعون من بعدهم ، وهكذا نقلها العلماء الثقات جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن ، وجمعوها فى كتبهم واوضحوا صحيحها من سقيمها ، ووضعوا لمعرفة ذلك قوانين وضوابط معلومة بينهم يعلم بها صحيح السنة من ضعيفها . وقد تداول اهل العلم كتب السنة من الصحيحين وغيرهما وحفظوها حفظا تاما كما حفظ الله كتابه العزيز من عبث العابثين والحاد الملحدين وتحريف المبطلين تحقيقا لما دل عليه قوله سبحانه « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

ولا شك ان سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحى منزل . فقد حفظها الله كما حفظ كتابه وقيض الله لها علماء نقادا ، ينفون عنها تحريف المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، ويذبون عنها كل ما الصقه بها الجاهلون والكذابون والوضاعون ، لأن الله سبحانه جعلها تفسيرا لكتابه الكريم وبيانا لما اجمل فيه من

الاحكام ، وضمنها احكاما اخرى لم ينص عليها الكتاب العزيز ، كتفصيل احكام الرضاع وبعض احكام المواريث وتحريم الجمع بين المراة وعمتها وبين المراة وخالتها الى غير ذلك من الاحكام التي جاءت بها السنة الصحيحة ولم تذكر في كتاب الله العزيز .

ذكر بعض ما ورد عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من اهل العلم في تعظيم السنة ووجوب العمل بها :

في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتد من ارتد من العرب قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه : والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة . فقال له عمر رضي الله عنه : كيف تقاتلهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها » فقال ابو بكر الصديق : اليست الزكاة من حقها ؟ والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها . فقال عمر رضي الله عنه فما هو الا ان عرفت ان الله قد شرح صدر ابي بكر للقتال فعرفت انه الحق . وقد قاتلهم الصحابة رضي الله عنهم على ذلك فقاتلوا اهل الردة حتى ردوهم الى الاسلام وقتلوا من اصر على ردته . وفي هذه القصة اوضح دليل على تعظيم السنة ووجوب العمل بها .

وجاءت الجدة الى الصديق رضي الله عنه تسأله عن ميراثها فقال لها ليس لك في كتاب الله شيء ولا اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى لك بشيء . ثم سأل رضي الله عنه الصحابة فشهد عنده بعضهم بان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى الجدة السدس . فقضى لها بذلك .

وكان عمر رضي الله عنه يوصي عماله ان يقضوا بين الناس بكتاب الله فان لم يجدوا القضية في كتاب الله فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولما اشكل عليه حكم املاص المراة وهو اسقاطها جنينا ميتا بسبب تعدى احد عليها سأل الصحابة رضي الله عنهم عن ذلك فشهد عنده محمد بن سلمة والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما بان النبي صلى الله عليه وسلم قضى في ذلك بغرة عبد او امة فقضى بذلك رضي الله عنه .

ولما اشكل على عثمان رضي الله عنه حكم اعتداد المراة في بيتها بعد وفاة زوجها واخبرته فريعة بنت مالك بن سنان اخت ابي سعيد رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم امرها بعد وفاة زوجها ان تمكث في بيته حتى يبلغ الكتاب اجله قضى بذلك رضي الله عنه . وهكذا

قضى بالسنة فى اقامة حد الشرب على الوليد بن عقبة .

ولما بلغ عليا رضى الله عنه أن عثمان رضى الله عنه ينهى عن متعة الحج اهل على رضى الله عنه بالحج والعمرة جميعا وقال لا ادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول احد من الناس . ولما احتج بعض الناس على ابن عباس رضى الله عنهما فى متعة الحج بقول أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فى تحبيذ افراد الحج قال ابن عباس : « يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء اقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون قال أبو بكر وعمر ! » فاذا كان من خالف السنة لقول ابى بكر وعمر تخشى عليه العقوبة فكيف بحال من خالفها لقول من دونهما أو لمجرد رأيه واجتهاده .

ولما نازع الناس عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى بعض السنة قال له عبد الله هل نحن مأمورون باتباع النبى صلى الله عليه وسلم ام باتباع عمر ؟ ولما قال رجل لعمران بن حصين رضى الله عنهما حدثنا عن كتاب الله — وهو يحدثهم عن السنة — غضب رضى الله عنه وقال ان السنة هى تفسير كتاب الله ولولا السنة لم نعرف أن الظهر اربع والمغرب ثلاث والفجر ركعتان ولم نعرف تفصيل احكام الزكاة الى غير ذلك مما جاءت به السنة من تفصيل الأحكام .

والقضايا عن الصحابة رضى الله عنهم فى تعظيم السنة ووجوب العمل بها والتحذير من مخالفتها كثيرة جدا ، ومن ذلك ايضا أن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما لما حدث بقوله صلى الله عليه وسلم «لاتمنعوا اماء الله مساجد الله » قال بعض ابنائه : والله لنمنعهن . فغضب عليه عبد الله وسبه سبا شديدا وقال اقول قال رسول الله وتقول والله لنمنعهن !

ولما رأى عبد الله بن المغفل المزنى رضى الله عنه وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض اقاربه يخذف نهاه عن ذلك وقال له ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الخذف (١) وقال « انه لا يصيب صيدا ولا ينكأ عدوا ولكنه يكسر السن ويفقأ العين » ثم رآه بعد ذلك يخذف فقال والله لا أكلمك ابدا . أخبرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن الخذف ثم تعود ؟

وأخرج البيهقى عن أيوب السختيانى التابعى الجليل انه قال اذا حدثت الرجل بسنة فقال دعنا من هذا وانبئنا عن القرآن فاعلم أنه ضال .

---

(١) الخذف بفتح الخاء وسكون الذال : الرمى بالحصى بالأصابع .

وقال الاوزاعى رحمه الله : السنة قاضية على الكتاب وليس يجئ الكتاب قاضيا على السنة . ومعنى ذلك أن السنة جاءت لبيان ما أجمل الكتاب أو تقييد ما أطلقه أو بما أحكم لئلا تتذكر فى الكتاب كما فى قول الله سبحانه « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون » وسبق قوله صلى الله عليه وسلم « الا انى أوتيت الكتاب ومثله معه »

وأخرج البيهقى عن عامر الشعبى رحمه الله انه قال لبعض الناس « انما هلكتم حين تركتم الآثار » يعنى بذلك الاحاديث الصحيحة .

وأخرج البيهقى ايضا عن الأوزاعى رحمه الله انه قال لبعض اصحابه اذا بلغك عن رسول الله حديث فعليك أن تقول بغيره فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مبلغا عن الله تعالى . وأخرج البيهقى عن الامام الجليل سفيان بن سعيد الثورى رحمه الله انه قال انما العلم كله العلم بالآثار .

وقال مالك رحمه الله « ما منا الا راد ومردود عليه الا صاحب هذا القبر » واشار الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو حنيفة رحمه الله « اذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين »

وقال الشافعى رحمه الله « متى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا صحيحا فلم آخذ به فاشهدكم أن عقلى قد ذهب » وقال ايضا رحمه الله « اذا قلت قولا وجاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلافه فاضربوا بقولى الحائط »

وقال الامام احمد بن حنبل رحمه الله لبعض اصحابه « لا تقلدنى ولا تقلد مالكا ولا الشافعى وخذ من حيث اخذنا » وقال ايضا رحمه الله « عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذهبون الى رأى سفيان والله سبحانه يقول « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم » ثم قال « أتدرى ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك لعله اذا رد بعض قوله عليه الصلاة والسلام أن يقع فى قلبه شىء من الزيغ فيهلك »

وأخرج البيهقى عن مجاهد بن جبر التابعى الجليل انه قال فى قوله سبحانه « فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول » قال « الرد الى الله الرد الى كتابه والرد الى الرسول الرد الى السنة »

وأخرج البيهقى عن الزهرى رحمه الله انه قال كان من مضى من علمائنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة .

وقال موفق الدين بن قدامة رحمه الله فى كتابه روضة الناظر فى بيان أصول الأحكام ما نصه : « والأصل الثانى من الأدلة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة لدلالة المعجزة على صدقه وأمر الله بطاعته وتحذيره من مخالفة أمره » انتهى المقصود

وقال ابن كثير رحمه الله فى تفسير قوله تعالى « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم » اى عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته ، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله ، فما وافق ذلك قبل وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائنا من كان . كما ثبت فى الصحيحين وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » اى فليخش وليحذر من خالف شريعة الرسول باطنا وظاهرا : « أن تصيبهم فتنة » اى فى قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة « أو يصيبهم عذاب اليم » اى فى الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك . كما روى الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثلى ومثلكم كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدوابد اللاتى يقعن فى النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها ، قال فذلك مثلى ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار فتغلبونى وتقتحمون فيها . اخرجاه من حديث عبد الرزاق .

وقال السيوطى رحمه الله فى رسالته المسماه مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة ما نصه : « اعلموا رحمكم الله أن من انكر أن كون حديث النبى صلى الله عليه وسلم قولا كان أو فعلا بشرطه المعروف فى الأصول حجة كفر وخرج عن دائرة الاسلام وحشر مع اليهود والنصارى أو مع من شاء الله من فرق الكفرة» انتهى المقصود .

والآثار عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل العلم فى تعظيم السنة ووجوب العمل بها والتحذير من مخالفتها كثيرة جدا وأرجو أن يكون فى ما ذكرنا من الآيات والاحاديث والآثار كفاية ومقنع لطالب الحق . ونسأل الله لنا ولجميع المسلمين التوفيق لما يرضيه والسلامة من اسباب غضبه ، وأن يهدينا جميعا صراطه المستقيم انه سميع قريب .

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه واتباعه باحسان .

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الرئيس العام

لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد فى المملكة العربية السعودية .

التسليم

بقلم / على عيد

قلنا ان التصديق هو الاقرار القلبى بحقائق الدين وضروراته ، وهو أول أعمال القلب فى ديوان الايمان ، اذا أيده بالاقرار الظاهر عن طريق اللسان ، حيث لا يعد كافيا وحده لادخال صاحبه زمرة المؤمنين ، فقد يشترك فى الاقرار القلبى مع المؤمن غيره من الكافرين والملاحدة والمنافقين غير أن المؤمن الحق يفترق سبيله عن سبيل الجاحدين بالنطق اللسانى ، ويفترق عن سبيل المنافقين بقرينة أخرى تشهد للنور القلبى الكامن فى سويدائه ، ألا وهى قرينة التسليم والرضى والطاعة ..

فكم من مقر بحق جاحد له ، كأهل الكتاب المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، بل ويستفتحون به على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وهم يعلمون صدقه يقينا ، أو كبعض مشركى مكة أمثال أبى جهل وأبى سفيان والوليد بن المغيرة وأبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم ، وكلهم يقر صدق محمد وأمانته ويشهد له ، غير أنهم ردوا عليه دعوته جحودا لها وحقدا عليه ، وصدق فيهم قوله تعالى : « فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » ..

اذن فلابد من وجود قرينة تشهد لهذا الاقرار القلبى وتؤيده ، هذه القرينة هى التى وصفها الحق تبارك وتعالى بصفة التسليم ، فى قوله تبارك وتعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .. فتحكيم صاحب الرسالة فى أمور الحياة والنزول على حكمه دون حرج والتسليم بقضائه ، هو النتيجة الحتمية لوجود الايمان فى القلب ، وهو ما يميز المؤمن من المنافق ، والطيب من الخبيث ، فحين سأل أحد الصحابة الأخيار رسول الاسلام عن قول فى الاسلام لا يسأل عنه أحدا بعده ،

أجابه بقوله الشريف البليغ المحكم .. « قل : آمنت بالله ثم استقم » .. أى ليكن منهاجك فى الحياة مستقيما مع كلمة الايمان ، نازلا على حكمها راضيا عنها وعن قضائها ، وكفى بذلك من نور يهدى من ظلمات الحياة والأحياء ، وهنا يتحتم أمام بصائرنا هدف أصيل ، هو أنه على البشرية أن تصحح مسارها فى الحياة ، بتحكيم منهج الله فى دروب حياتهم ، ويسلموا قيادهم لأمر الله وحكمه ، وبغير ذلك لا يكون ايمان ولا دين ولا دنيا صالحة ، لأن صلاح الدنيا متوقف على صلاح الدين ، وصلاح الدين متوقف على صدق الرابطة مع الله ، التى لا تتحقق الا بنهج منهجه السوى الذى وضعه للحياة والأحياء والكون جميعا ، والمسلم الحق هو من أسلم قلبه ونفسه لربه عن طواعية ورضا .. « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .. فسوف لاتجد البشرية انسانيتها الاعند ذلك التسليم والاحتكام الى الله والرضا بحكمه والرضا عنه ، والركون اليه وحده ، وقد روى فى الصحيحين قول النبى صلى الله عليه وسلم : « ذاق طعم الايمان ، من رضى بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد رسولا » .. وفى الحديث القدسى : « من استسلم لقضائى ، ورضى بحكمى ، وصبر على بلائى ، بعثته يوم القيامة مع الصديقين والشهداء .. »

اذا كان الرضى بين قسمات القلب ، انمحى الضجر والنفور ، ورفع الاحتجاج والمغالبة ، وتخلص من متعلقات الأهواء والنوازع ، وصفا من أكدار الدنيا ورغائبها .. لأن المؤمن الحق يضع دنياه فى منزلتها الحقيقية وفى حجمها الذى أرشده اليه دينه ، حيث علمه ربه فى كتابه الكريم أن الدار الآخرة هى الأبقى ، وأن الدار الدنيا فانية لا غناء فيها ولا رواء ، وانما هى معبر للآخرة ، فقال سبحانه وتعالى : « بل تؤثرون الحياة الدنيا ، والآخرة خير وأبقى » وقال تبارك وتعالى : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا » وقال عز وجل : « وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون » ..

وصدق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « من أحب دنياه

آمر آخرته ، ومن أحب آخرته أضر دنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى» .. وقال أيضا : « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » .. وقال : « مالى وللدنيا ، وما أنا والدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها » ..

فاذا كانت هذه عقيدة المؤمن فى الدنيا وتصوره لها ، فانه لا جرم لن يتعلق بها ولن تجذب همته اليها ، وانما سيصلح فيها ما استطاع ، ويغرس فيها قدر طاقته ، ما يجنيه فى آخرته ، انه حين يبذل ويكدح فى دنياه ، لا ينتظر ثمار كدحه فى هذه الدنيا القريبة ، وانما يدخره لما ينتظره عبر حجب الغيب ، فليس زهد المؤمن اعتكافا ورفضا للحياة والوجود ، وانما هو نفى التعلق بالحاضر القريب والاستعلاء عليه ..

وعن التسليم تنبع الطاعة والانقياد ..

ونقصد بالطاعة عند المؤمن تعظيم الأمر والنهى ، وهو وجه بارز من أوجه التسليم ، ألا وهو وجه تسليم قياده والقاء أمره وتفويض مشيئته الى الله ، اذا وجدت هذه الطاعة ، لا تثور فى نفس الانسان أسئلة متبرمة أو مرتابة أو كارهة ، ولكنها الطاعة فى أسمى معانيها وفى أبلغ صورها ..

ومن ثم فلن يخرج المؤمن عن نهج خطه له الاسلام ، وسبيل فرضه له ربه ، فلن يقترب مجرد اقتراب من حد من حدود الله ومحارمه ، ولابد أن نشهد بتفرد طاعة المؤمن ، واختلافها عن طاعة غير المؤمن ، فطاعة المؤمن والتى نراها سمة من سمات التسليم ، فهى طاعة راضية قانعة محبتة ، وأما طاعة غير المؤمن ، فهى اما طاعة مقهور أو طاعة وله مشبوب وهيئذ هى طاعة عمياء مضلة .. غير أن طاعة المؤمن تجمع الى رضاها واقتناعها ، بصيرتها وأريحيتها وثقتها فى قيادتها ، وقد ورد الحديث تصويرا لطواعية المؤمن « المؤمن كالجمل الأنف ، ان قيد انقاد ، وان أنيخ على صخرة استناخ » ..

وطاعة المؤمن تكون لله أولا وقبل كل شىء ، وطاعته للرسول صلى الله عليه وسلم انما هى من طاعة الله ، ثم طاعته لأولى الأمر من الأمراء

والعلماء ، هى أيضا طاعة لله ورسوله لأنه انما يعظم أمر الله له بطاعتهم فيطيعهم ، ما كانوا هم مطيعين لله سبحانه وتعالى ، وتلك نصوص الشرع الحنيف تفصل فى الأمر وتضع الآية البينة أمام البصائر ، فى قوله تعالى : « انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون » ..وفى قوله عز وجل : « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » .. وفى قوله عز من قائل : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » .. وفى قوله تبارك وتعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » وفى قوله سبحانه : « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم » الى آخر الآيات التى تحمل هذا المعنى ..

وهذا ما كان عليه فهم الصحابة رضى الله عنهم ، وعلى رأسهم الخلفاء الأمناء على شرع الله ودينه بعد النبى صلى الله عليه وسلم فأبو بكر رضى الله عنه ، يطلب من المسلمين فى أول خطبة له بعد بيعته أن يطيعوه ماأطاع الله فيهم قائلا : « انى وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينونى وان أسأت فقومونى » وهذا عمر رضى الله عنه يقول : « فان أطعت الله فأطيعونى ، وان عصيته فلا طاعة لى عليكم » وقد روى فى ذلك المعنى حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ، الا أن يؤمر بمعصية ، فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » وهكذا نتبين طبيعة هذه الطاعة التى يفيض بها قلب المؤمن لله سبحانه وتعالى ، متمثلة فى سلوكه فى الحياة متأدبا بها معه ، مخبتا بها اليه فيما يأتى ويذر من أمور حياته .

والانقياد لأمر الله والتسليم له ، هو الذى يبرهن على اخلاص الايمان وصفائه ومبلغ قوته ويقينه والذى يؤكد ذلك ويوثقه فى قلب المؤمن ، هو الصبر .. !

على عيد

رئيس الشبان المسلمين بسرس الليان

العبادة الخالصة طريق إلى الجنة

بقلم : أحمد طه نصر

ان الحياة مطية للآخرة ، والمسلم يجب أن يكون حريصا على دينه وعقيدته أكثر من حرصه على الدنيا ، فيعمل على ما يؤدى الى نجاته وفوزه فى الآخرة لأنها دار القرار . والحق أن العقيدة القرآنية هى أساس الايمان . والتوحيد هو جوهر هذه العقيدة وروح الاسلام كله . وحماية هذه العقيدة وهذا التوحيد الخالص هو ما يسعى اليه الاسلام فى تشريعه وارشاده لتطهير المجتمع من شوائب الشرك وبقايا الضلال .

وتطهير العقيدة هو تخليصها من كل ما يعكر صفاءها ونقاءها مما يعلق بها من بدع الضالين المضلين وخرافاتهم . ثم تقييم السلوك بالخلق الحسن والعمل الصالح لبناء مجتمع الأخلاق الذى يحث الاسلام على بنائه . وهذا يقتضى الالتزام بشرع الله ومنهجه فى حياتنا كلها حتى نربى الانسان المسلم الذى ينشأ على أثره ويتكون منه المجتمع الايمانى الفاضل .

ويطيب لى أن أسوق هذا الحديث النبوى الكريم . روى الشيخان قوله صلى الله عليه وسلم جوابا على سؤال رجل : أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة . فقال القوم مماله ماله ؟ فقال النبى « ارب ماله : تعبد الله لاتشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصل الرحم : ذرها » واقعة على مشهد من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يذكرها هذا الصحابى الجليل أبو أيوب الأنصارى رضى الله عنه . ويسجل الحوار الذى دار بين النبى وبين سائل اعترض طريقه . وكان صلى الله عليه وسلم على راحلته . فأمسك الرجل بزمامها حتى اذا توقفت عن المسير ، خاطب النبى بسؤاله ، وتلقى منه الجواب ، هداية وارشادا الى أركان الاسلام وأمهات الفضائل التى تفضى بصاحبها الى الجنة . وهى معقد الرجاء لكل مسلم ، والغاية التى يطمح اليها كل مؤمن ، وهى سلعة الله الغالية ، وفى سبيلها يهون كل صعب ، ويرخص كل غال ، ويطيب كل سعى ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون . يشهد هذه الواقعة مع أبى أيوب جمع من الأصحاب وقد تملكهم العجب من جرأة الرجل وشجاعته الأدبية فى

السؤال ، حيث اقتحم على النبى طريقه ، وتشبث بزمام راحلته . فأخذوا يتساءلون فى عجب ودهشة . ماله ماله ؟ كأنما كبر فى نفوسهم أن يعترض رسول الله معترض ، وأن يحول بينه وبين مواصلة السير حتى يتلقى الجواب على سؤاله الذى وجهه . ولكن الرسول هدأ من ثائرة أصحابه والتمس للرجل عذرا فيما فعل فقال لهم أرب ماله والارب الحاجة . والمقصد أن لهذا الرجل حاجة ما . هى التى دفعته الى هذا العمل . ان الرجل يريد أن يعرف الطريق الى الجنة ، والأعمال التى تأخذ بيده لتدخله الى رضوانها . فيصبح من الوارثين الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون . ثم شرع صلى الله عليه وسلم يخبر السائل بالعمل الذى يدخله الجنة . وتلك مكانته صلى الله عليه وسلم المعلم والامام الذى اختاره الله عز وجل ليبين للناس ما نزل اليهم . وقد جاء فى الكتاب الكريم الكثير من الآيات التى توضح هذه الغاية العزيزة : « تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا » ٦٣ مريم « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا . خالدين فيها لا يبغون عنها حولا » ١٠٨ الكهف « ان المتقين فى جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين» ٤٦ الحجر « فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز » ١٨٥ آل عمران .

بدأ صلى الله عليه وسلم بقوله : « تعبد الله لا تشرك به شيئا » والعبادة بمدلولها اللغوى تعطى معنى التذلل والانقياد والخضوع . تقول طريق معبد : أى مذلل ممهد تستطيع السير فيه بسهولة . ومعنى العبادة فى الاسلام : انقياد المؤمن لحكم الله وأمره وعبادته وحده لا شريك له . على أن يكون مبعث ذلك حبه سبحانه والخوف منه والرجاء فيه . فالعبادة التى لا تقترن بهذه الأسس لاوزن لها عند الله . فلابد من العلم بذلك وتحريه والاخلاص فى ذلك ابتغاء وجهه الكريم . وجميل من الامام ابن القيم رحمه الله أن يقول : فمن أحببته ولم تكن خاضعا له لم تكن له عابدا . ومن خضعت له بلا محبة لم تكن له عابدا . حتى تكون محبا خاضعا .

ومن هنا تتفاوت درجات الناس فى العبادة الصادقة . فمنهم المخلصون الذين يلتزمون ما جاء به الاسلام . ويتجهون فى أعماقهم وأقوالهم

لله وحده (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » ٥ البينة « وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم » ٦١ يس « فاعبد الله مخلصا له الدين . ألا لله الدين الخالص » ٢ الزمر . ومن الناس من لا اخلاص لهم ولا متابعة . وغاية همهم أن يفاخروا بأعمالهم السيئة كالبدع والضلالات وعبادة الموتى وسؤالهم المدد والبركة ، وتقديم القرابين والنذور لهم . وهى أعمال شركية ليست من الاسلام فى شىء . ولعل بعضهم يجد فى أداء هذه الأعمال يحسب أنها تقربه من الله . على حين أنه لا يزداد بها من الله الا بعدا . كالصوفية — وهى زور فى الاسلام — ومريديها الذين يظنون أن اقامة الموالد والتزام الخلوة والتسكع حول الأضرحة عبادة تقرب الى الله . ونسوا أن الله غيور وأنه سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك . فمن أشرك معه غيره تركه وشركه . ثم يأتى بعد ذلك الذين يفعلون الطاعات بلا وازع دينى . ولكن لينالوا بذلك ثناء الناس ومحمدتهم . كالرجل يصلى تقليدا ورياء ، ويقاتل حمية وشجاعة ، ويتصدق مباهاة .. فهؤلاء أعمالهم ظاهرها أنها أعمال صالحة مأمور بها . ولكنها غير خالصة لله فلا تقبل عنده . لأنها خداع وزيف ،

والحديث يربط بين العبادة ودخول الجنة . ومن حديث آخر يقول صلى الله عليه وسلم : « أتدرون ما حق الله على العباد . وما حق العباد على الله ؟ حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا . وحق العباد ان هم فعلوا ذلك أن يدخلهم الجنة وأن لا يعذبهم » الشيخان . وهذا يجعل العبادة فى الاسلام واسعة الدلالة شاملة المعنى فليست محصورة فى المسجد كما يتوهم بعض الناس . ولكنها تشمل الحياة كلها بعد التزود بذكر الله وأداء شعائره . معناها أن يؤدى المسلم واجبه نحو ربه ثم نحو نفسه وأسرته ومجتمعه الذى يعيش فيه . فالصلاة عبادة . والسعى على الرزق والمعاش بالوسائل المشروعة عبادة . واماطة الأذى صدقة وعبادة . والجهاد لاعلاء كلمة الله عبادة وذروة سنان الاسلام . وبهذا يتحول المسلمون جميعا الى عاملين عابدين . ومن هنا كانت العبادة هى الغاية من خلق الله لعباده « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » ٥٦ الذاريات .

ومن أجل العبادة أرسلت الرسل وأنزلت الكتب وجعلت الجنة والنار • والعبادة فى أفقها السامى الوضىء تعنى الاحسان • وهو أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك • واذا كانت العبادة بهذه المنزلة فان الشرك بالله ــ والعياذ بالله تعالى ــ انتكاس فى الفطرة، وانطماس فى البصيرة ، وظلم للنفس عظيم كقوله تعالى « يا بنى لا تشرك بالله • ان الشرك لظلم عظيم » ١٣ لقمان • وقوله « انه من يشرك بالله فقدحرم الله عليه الجنة ومأواه النار » ٧٢ المائدة • ومن أشرك فقد قطع صلته بالقوة القادرة التى تدبر أمر هذا الكون • ثم يضرب فى تيه من الضلال والحيرة اذ يسوى برب العالمين من يقصدونهم ويدعونهم من دونه من الموتى فاقدى الحياة ، ومن يتخذونهم أولياء ممن يأتمرون بأمرهم ويطيعونهم فى نظمهم ويؤثرون رضاهم على مرضاة الله ، ويتبعونهم فى آثامهم وفجورهم • ان النجاة والسلامة فى اخلاص العبادة لله وحده وافراده بالمحبة والتعظيم والخوف والرجاء •

ثم يقول الحديث : « وتقيم الصلاة » وهى الرباط الروحى الذى يصل بالله • وهى نور يضىء قلب المؤمن وعقله ويشرق فى نفسه فيضفى على حياته الطمأنينة والخير ، ويشيع فى ضميره العفاف والطهر ، وتقوده الى الصواب والصدق • وفى الحديث (الصلاة نور) عملية حصانة وتطهير يومية ظاهرة وباطنة • يروى البخارى قوله صلى الله عليه وسلم (أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات • هل يبقى من درنه شىء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شىء • قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا) واذا أقامها المؤمن خاشعا فيها محافظا عليها قامت حاجزا حصينا بينه وبين المعاصى (وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) ٤٥ العنكبوت • بل وتحول سيئاته الى حسنات • حيث لا مكان لمأثم أو انحراف (وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل • ان الحسنات يذهبن السيئات) ١١٤ هود • والاقامة أبلغ من الأداء • من أقام العود اذا عدله وقومه فهو يأخذ وجهة واحدة • وهى بهذا المعنى معراج المؤمن الى ربه يناجيه ويصل قلبه به يشرف بذلك • وهى زاد الروح تعين المؤمن على التحمل والجلد والثبات « يأيها

الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة » ١٥٣ البقرة • وهى العبـادة الوحيدة التى فرضت فوق سبع سموات • وفى الحديث عند أحمد (أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة) اذا أقامتها جماعة استقام أمرها • واذا نهض البيت المسلم على الصـلاة شب أبناؤه على الصلاح والطهر • ومن هنا يوجهنا القرآن (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) ١٣٢ طه •

ثم يقول الحديث : « وتؤتى الزكاة » وهى أخت الصلاة وأحد أركان الاسلام • وهى مأخوذة من زكا الزرع اذا زاد ونما • لأن اخراجهـا سبب لنماء المال وزيادته وفى الحديث عند مسلم (ما نقص مـال من صدقة) ومأخوذة من زكت النفس اذا طهرت ونظفت (قد أفلح من زكاها) وذلك أن أداءها تطهير للنفس من الشح والبخل وتطهير للمجتمع من الحقد ونوازع الشر • قال تعالى (خذ من أموالهم صـدقة تطهـرهم وتزكيهم بها) ١٠٣ التوبة • والحكمة من فرضيتها بعد التطهير هـى تقوية الروابط فى المجتمع الايمانى باعطاء الحق المعلوم للسائل والمحروم، ليرتفع مستوى الفقراء وليصبحوا أعضاء نافعين وصالحين متعاونين على الخير وتحقيق الصالح العام • ومن هنا تذكر الزكاة بعد الصلاة فى الكتاب والسنة المطهرة ، لأن الصلاة تنظم صلة المسلم بربه ، ومتى تم له ذلك جاءت الزكاة لتنظم صلة المجتمع الذى يعيش فيه • وهى برهان علـى قوة الايمان كقوله تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هـم فى صلاتهـم خاشعون الى قوله : والذين هم للزكاة فاعلون) ١ المؤمنون •

ويقول الحديث : « وتصل الرحم » لأن الاسلام حريص على وحدة الأمة ووحدة المجتمع ووحدة الاسرة وأن تسود علاقات المسلمين بعضهم ببعض روح المودة والتعاون • ودعامة المجتمع الأسرة • فاذا كانت قوية مترابطة نهض على أساسها عالى البنيان شديد الأركان • والرحم قرابة الانسان وأهله • مأخوذة من « الرحم » الذى هو وعاء الجنين فى بطن أمه • وأعلى القرابة من جمعهم رحم أم واحدة • كالاخوة والأخـوات ولكن صلة الرحم تشمل الأقارب مطلقا • ومعناها البر بهم والعطف عليهم والاحسان اليهم وزيارتهم اذا غابوا ، ومواساتهم ان نزلت بهم محنة ،

ومشاركتهم السرور عند النعمة (وألو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شىء عليم) ٧٥ الأنفال • ولصلة الرحم منزلة عند الله سامية فقد جاء الحديث القدسى عند الترمذى (أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته)

وآية فى كتاب الله تدمغ القاطعين وتهددهم هى قوله تعالى (فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم • أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) ٢٣ محمد • ويروى الامام احمد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الآثار الطيبة فى الحياة لصلة الرحم قوله (من سره أن يمد له فى عمره ، ويوسع له فى رزقه ، ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه) وكل ذلك لا يأخذ مكانته وآثاره فى ميزان الله الا اذا كان خالصا لوجه الله وابتغاء مرضاته نقيا من الشوائب والأغراض والمنافع • ومن معنى الصلة أن تكون حين يقطع القريب ويهجر ، لقوله صلى الله عليه وسلم عند البخارى (ليس الواصل بالمكافىء • ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها) وأعلى درجاتها بر الوالدين • وقد قرن الله برهما بعبادته سبحانه • ومن جمال الاسلام حرصه على هذا البر حتى بعد موتهما لحديث أبى داود أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : هل بقى من بر أبوى شىء أبرهما به بعد موتهما ؟ قال نعم الصلاة عليهما ــ أى الدعاء ــ والاستغفار لهما ، وانفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التى لا توصل الا بهما ، واكرام صديقهما) وان كانا كافرين لما روى الشيخان عن أسماء رضى الله عنها قالت : قدمت على أمى وهى مشركة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيته قلت ان أمى قدمت وهى راغبة أفأصل أمى ؟ قال نعم صلى أمك) مصداقا لقوله تعالى (وصاحبهما فى الدنيا معروفا)

وهكذا يرشدنا الرسول معلم الخير ونبى البر كيف نحرر أنفسنا وننجيها بعبادة الله وحده لا شريك له • وكيف نطهر أرواحنا بالصلاة • وأموالنا بالزكاة • وكيف نبنى الأسرة المسلمة على الحب والتواصل ابتغاء مرضاة الله ليتضح الطريق الى الجنة • والله ولى التوفيق •

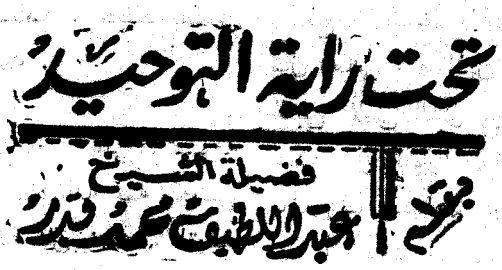

التوبة

قلت سابقا ان المحاسبة الصادقة للنفس فى ظلال التوحيد وعلى ضوء من الكتاب والسنة لابد وأن تسلم النفس الى التوبة الخالصة لله رب العالمين لانها اما أن تشعر بالتقصير الشديد فى حق الله العزيز الحميد ، واما أن تحس بفظاعة الذنب وشناعة المعصية . لذلك فانها تعزم عزمة صادقة على التوبة والتطهر (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) الآية ٢٢٢ ــ البقرة .

● ولكن التوبة لابد لها من شروط ثلاثة لتكون توبة صحيحة مقبولة وهى :

١ ــ الندم على ما كان من تقصير أو عصيان فى الماضى .

٢ ــ والاقلاع عن ذلك فى الحال .

٣ ــ والعزم على عدم العود اليه فى المستقبل .

● وللتوبة المقبولة علامات :

ــ منها أن يكون الانسان بعد التوبة خيرا منه قبلها فان كانت توبته من تقصير فانه يسارع الى الخيرات ويتنافس فى الطاعات .

وان كانت توبته من معصية فانه يتطهر منها ويقبل على طاعة ربه ويحرص عليها .

ــ ومنها أن يمتلىء قلبه خشية لله وخوفا أن لا تقبل توبته فيكثر من الاستغفار والاعتذار الى الله مما حدث منه لعل الله أن يتوب عليه لأن العبد لن يتوب الى ربه الا اذا تاب عليه ربه أولا كما قال تعالى عن الثلاثة الذين خلفوا (ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم) الآية ١١٨ ــ التوبة .

ــ ومنها أن لا يأمن مكر الله تعالى فيرجع عن توبته الى ما كان عليه من قبل فهو لا يزال فى خوف ووجل لا يأمن مكر الله طرفة عين (فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) الآية ٩٩ ــ الأعراف . فهو لا يزال خائفا حتى ينادى عند قبض روحه (أن لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون)

الآية ٣٠ ــ فصلت . حينئذ يطمئن على حسن عاقبته .

ومما يساعد العبد على التوبة أن يرى قبح ما نهاه الله عنه وحسن ما أمره به ، وأنه كان يفعل القبيح حين كان يفعل ما نهاه الله عنه ، وكان يترك الحسن حين كان يترك ما أمره الله به ، ولا يستوى فى الفطرة السليمة القبيح والحسن ، فهل يستوى الخبيث والطيب ، ومعنى ذلك أن يوقظ الفطرة السليمة فى نفسه فتحب الحسن أى الطاعة فتعود اليها ، وتكره القبيح أى المعصية فتقلع عنها .

وقد قيل لبعض الاعراب ــ وقد أسلم لما عرف ما يدعو اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أى شيء أسلمت ؟ وما رأيت منه ما يدلك على أنه رسول الله ؟ . قال الأعرابى بفطرته السليمة : ما أمرنى بشيء فقال العقل ليته نهى عنه ، وما نهى عن شيء فقال العقل ليته أمر به ، ولا أحل شيئا فقال العقل ليته حرمه ، ولا حرم شيئا ، فقال العقل ليته أباحه . أى : العقل السليم لا السقيم .

فهذا الأعرابى حمله على الاسلام أنه فكر بفطرته السليمة وعقله المستقيم فيما يأمر به الرسول صلى الله عليه وسلم وفيما ينهى عنه ، فوجده يأمر بالحسن وينهى عن القبيح ، فأسلم طائعا مختارا كما قال تعالى : (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم آصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون) الآية ٥٧ الأعراف .

وكذلك التوابون حينما يثوبون الى رشدهم يعلمون أن ما تركوه هو الخير ، وما فعلوه هو الشر فيلزمهم العدول عن الشر الى الخير والا كانوا خارجين عن فطرتهم مخالفين لأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى : (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) الآية ٣٦ ــ الأحزاب .

وقد قال الله تعالى : (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) الآية ١٤ ــ النساء .

وكم فى القرآن الكريم من عظات وعبر (لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) الآية ٣٧ ــ ق .

وكم فى الكون من آيات وحكم :

(وما يعقلها الا العالمون) الآية ٤٣ ـ العنكبوت .

اما اذا كانت توبة العبد من حق آدمى عليه فانها لا تقبل الا بشرط رابع وهو ان يعطيه اياه ويرده عليه ان كان حقا ماديا أو يعطيه لورثته ان كان قد مات ، أو يتحلله منه ان كان حيا أو من الورثة ان أمكن . فقد روى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من كانت عنده مظلمة لأخيه، من عرضه أو من شىء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه) رواه البخارى .

وان كان حق الآدمى أدبيا كغيبة أو قذف :

فهل يشترط فى توبته منه اعلامه بعينه والتحلل منه ؟

أو اعلامه بأنه قد نال من عرضه بدون تعيين ؟

أو لا يشترط هذا ولا ذاك ؟

على خلاف بين العلماء فى ذلك والأقرب للصحة والله أعلم أنه اذا ترتب على اعلامه بذلك فتنة وعداوة وبغضاء ، فانه يعلمه بذلك فى الجملة دون تعيين ، لاسيما اذا كان الحق حق قذف ، أو يتوب الى الله من ذنبه ويستغفر لصاحب الحق عليه ويكثر من عمل الحسنات فالحسنات يذهبن السيئات ، وقداختار هذاالراى شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى درءا للمفاسد التى قد تترتب على المصارحة وخاصة اذا كانت تتعلق بالأعراض التى يغار ويغضب من اجلها الانسان ويتمنى أن لم يكن قد سمع وعلم بها .

ويؤيد ذلك ما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رجلا أصاب من امرأة قبلة ، فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فأنزل الله تعالى: (أقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ، ان الحسنات يذهبن السيئات) فقال الرجل : الى هذا ؟ قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ (لجميع أمتى كلهم) متفق عليه .

فقبلة المرأة لاشك أن فيها الى جانب حق الله حقا للآدمى والرجل جاء تائبا وقد قبل الله توبته وأمره بالمحافظة على الصلاة فانها تكفر سيئته وجعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لجميع المؤمنين ، ولم يأمره بأن يذهب الى أهل المرأة يتحللهم من ذنبه .

قالوا والفرق بين الحقوق المالية

والحقوق المعنوية من جهتين :

١ ــ أن الحقوق المالية ينتفع بها أصحابها اذا ردت اليهم فلا يجوز اخفاؤها فانها محض حق يجب عليه أداؤه مع الاستطاعة .

بخلاف الغيبة والقذف وغيرهما من الحقوق المعنوية فليس لأصحابها منفعة فيها بل على العكس ربما تهيجهم وتغضبهم .

٢ ــ اذا علم صاحب الحقوق المالية بما له عند الآخرين ربما فرح بذلك وجلله منه عن طيب خاطر ، لأن المال غاد ورائح .

بخلاف ما اذا علم أنه قد نال من عرضه ووقع فيه فان ذلك يسوءه ويحزنه ، وليس من السهل أن يحلله منه بل ربما كلما رآه تذكر اساءته له فتظل العداوة بينهما ، والله أرحم بعباده من أن يتركهم هكذا متخاصمين متعادين ولو فى الباطن : (ان الله بالناس لرءوف رحيم) الآية ١٤٣ ــ البقرة .

ولكن ما هى التوبة النصوح التى أمرنا بها فى قول الله عز وجل : (يأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار) . الآية ٨ ــ التحريم . وقد رتب الله عليها تكفير السيئات ودخول الجنة ؟

● للعلماء فى ذلك أقوال كثيرة ، ويقول ابن القيم رحمه الله ملخلاصته النصح فى التوبة يتضمن ثلاثة أشياء :

١ ــ تعميم جميع الذنوب واستغراقها بحيث لا تدع ذنبا الا تناولته .

٢ ــ اجماع العزم والصدق بكليته عليها بحيث لا يبقى عنده تردد ، ولا تلوم ، ولا انتظار . بل يجمع عليها كل ارادته وعزيمته مبادرا بها .

٣ ــ تخليصها من الشوائب والعلل القادحة فى اخلاصها ، ووقوعها لمحض الخوف من الله ، وخشيته والرغبة فيما لديه ، والرهبة مما عنده .

ثم قال :

فالأول : يتعلق بما يتوب منه . والثالث : يتعلق بمن يتوب اليه سبحانه . والأوسط : يتعلق بذات التائب نفسه . فنصح التوبة الصدق فيها والاخلاص ، وتعميم الذنوب بها.

ولا ريب أن هذه التوبة تستلزم الاستغفار وتتضمنه ، وتمحو جميع الذنب ، وهى أكمل ما يكون من التوبة ، والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة الا بالله . ا.هـ . والحديث موصول ان شاء الله .

عبد اللطيف محمد بدر

هجرة فى سبيل الله

بقلم : أحمد لطفى السيد

يقول الله عز وجل فى ذكر حادث الهجرة « الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم »

ويقول الحق تبارك وتعالى « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين »

وهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة .. من دار الشرك الى دار الايمان .. من وطن الخوف والفزع الى وطن الأمن والأمان والاطمئنان .. تحمل طابع الايمان الكامل ، واليقين التام برحمة الله عز وجل بالمؤمنين ، وبنصره لهم فى ساعة الشدة . وتحمل طابع العزة والكرامة والأنفة من الذل والتطلع الى حياة الحرية للنفس وللجماعة الاسلامية وللمجتمع الاسلامى .. وهى قد تكون أمرا لازما ، وفرضا واجبا ، اذا فقد الانسان الحرية فى وطنه . وان فقد بخاصة حرية العقيدة . يقول الله جل شأنه فى كتابه الحكيم « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ، قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا : كنا مستضعفين فى الارض . قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة ؟ فتهاجروا فيها ؟ أولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا »

وقد قضى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فى مكة ثلاثة عشر عاما يدعو فيها الناس الى دين الله . وقريش لا تزال سادرة فى غيها ، سائرة فى ضلالها ، مسرفة فى غلوائها ، تكيد للاسلام ، وللرسول ، وللمسلمين فى مكة كيدا عظيما .

وبلغت ذروة عدوان الأعداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تدبيرهم مؤامرة اغتياله • وعلم الرسول الكريم بالأمر فخطط للهجرة تخطيطا دقيقا • اعتمد فيه على السرية •• حتى لا تحبط قريش فكرة الهجرة • ولم يطلع أحدا عليها الا صاحبه الأمين أبا بكر الصديق رضى الله عنه وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه الذى كلفه رسول الله بمهمة فدائية • وهى أن يبيت على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المؤامرة ليوهم الأعداء أن الرسول نائم فى بيته • ويكون هو قد خـــرج من البيت • واتجه فى طريقه الى المدينة • ولقد شارك فى الهجـــرة بعض الكهول والشباب والفتيات •• وكان لكل واحد منهم عمل يؤديه علـــى نفس المستوى من الحذر والمسئولية وكتمان الأمر فى دقة •

وبهذا التخطيط الدقيق ، بعد توفيق الله عز وجل نجحت الهجرة ، وانتصر الحق ، وخذل الباطل وحزبه • وصدق الله العظيم « ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين • كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز » وصدق الله العظيم « يريدون أن يطفئوا نـــور الله بأفواههم • ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون »

فالهجرة كانت الرمز الأبدى الى أن رسالة السماء تحوطها دائما وأبدا رعاية الله ونصره وتوفيقه ، وأن دين التوحيد هو المنصور أبدا ، لا يخذله باطل ، ولا يخونه خائن • ولا يسد المنافذ أمامه طغيان ، ولا بهتـــان ، ولا عـــدوان •

والهجرة أبانت طريق الاسلام فى العدالة الاجتماعية ، حين آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصـــار •• هـــذه المؤاخاة الكريمة الفريدة فى حياة الانسانية كافة •

والهجـــرة كانت معلمة الناس أن الاســـلام دين الحياة •• وأنه أعظم رسالة سماوية على الارض •• ومن ثم كانت رسالته رسالة خالدة •

البقية صفحة (٤٤)

موقف اللغة وعلماء النحو من الصوفية

بقلـــم : محمـــد الجندى

يبدو أن اللغة العربية لم تكن تعرف بدعة التصوف فى الدعاء ، ويبدو أيضا أن علماء النحو ــ رحمهم الله ــ كانوا موحـــدين ولـــم يكونوا متصوفين ! والدليل على ذلك أن النحاة عندما تحدثوا فى «باب النداء » عن كيفية نداء الاسم المقترن بأل قالوا : انه لا ينادى مباشرة وانما يجب أن تكون هناك واسطة بين حرف النداء والمنادى المقترن بأل وهذه الواسطة تكون أحـــد أمرين :

١ ــ كلمة أيهـــا أو أيتهـــا :

كما فى قوله تعالى : « يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك » وقوله « يأيتها النفس المطمئنة .. »

٢ ــ اســـــم الاشـــــارة :

كما فى قولنا : يا هذا الرجل أو يا ذا الصديق .

وهكذا فى بقية الأسماء المقترنة بأل ماعدا لفظ الجلالة « الله » فانه عند ندائه لا يتخذ معه واسطة ! وانما ينادى مباشرة «يا الله » بلا واسطة بين حرف النداء ولفظ الجلالة . بل ان الاكثر والشـــائع فى نداء لفظ الجلالة هو أن يحذف حرف النداء ويعـــوض عنه بميم مشددة فى آخره فنقول : اللهم . ومعنى هذا أن اتخاذ واسطة بيننا وبين الله عند دعائهأمر غريب عن اللغة العربية الفصحى لغة القـــرآن الكـــريم !

أما الدليل علىأن النحاة كانوا موحدين فهو أنه عندما تحدثوا عن « أسلوب الندبة » قالوا للندبة أداءان همـــا :

أ ــ « وا » وتستخدم بلا قيد نحو : واسلاماه .

ب ــ « يا » وتستخدم بشرط أن يكون هناك من القرائن فى اللفظ أو الموقف ما يمنع اللبس بين الندبة والاستغاثة .

ومن أمثلة استخدام « يا » فى الندبة قول جرير يندب عمر بن عبد العزيز :

حملت أمرا عظيما فاصطبرت له

وقمت فيه بأمر الله ياعمرا

قالوا : فتركيب (ياعمرا) هنا تركيب ندبة وليس استغاثة لأن الميت لا يستغاث به . ! وهكذا يعلن النحاة توحيدهم لله وتبرأهم من بدعة التصوف فى الدعاء والاستغاثة .

فهل يصر المتصوفة بعد ذلك على بدعهم هذه ؟ أما آن لهم أن يخلصوا دينهم لله ؟ !

محمد الجندى

كلية دار العلوم ــ جامعة القاهرة

بقية مقال (هجرة فى سبيل الله)

صالحة لكل زمان ومكان . وأن مجد المسلمين لا يقوم الا بالاسلام ، ولا ينتهى الا اليه ، ولا يرتكز دائما وأبدا الا عليه .

والهجرة قالت للناس ان الاسلام دين الحضارة . وحضارة الاسلام التى انبثقت منه ، وقامت عليه كانت أعظم حضارة . أظلت العالم قرونا طوالا ، لانها حضارة انسانية ذات مثل ، ذات أهداف سامية ، ذات قيم تقصد خير الانسان وأمنه وطمأنينته ، تقصد السلامة له . والرفاهية والحرية الحقيقية والعدل الشامل .

فالهجرة ذكرى خالدة حية الى أن تقوم الساعة . وهى ذكرى النصر لله ولرسوله وللمؤمنين .

أحمد لطفى السيد

المستشار القانونى لمركز السنبلاوين

الخضر بين الحقيقة والافتراء

بقلم : منصور عبد الحكيم

اختلف فى اسمه ونسبه ونبوته وحياته الى الآن • وكثرت حوله الروايات منها الصحيح ومنها الباطل • وجاء ذكره فى سورة الكهف •

١ ــ دلت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه العبد الصالح الذى لقيه موسى عليه السلام بمجمع البحرين •

قال البخارى : « حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا سفيان قال حدثنا عمرو قال أخبرنى سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان نوفا البكالى يزعم أن موسى ليس بموسى بنى اسرائيل انما هو موسى آخر فقال كذب عدو الله حدثنا أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم قام موسى النبى خطيبا فى بنى اسرائيل فسئل أى الناس أعلم فقال أنا أعلم فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فأوحى الله اليه أن عبدا من عبادى بمجمع البحرين هو أعلم منك قال يارب وكيف به فقيل له احمل حوتا فى مكتل فاذا فقدته فهو ثم ••• » الى بقية الحديث « فلما انتهيا الى الصخرة اذا رجل مسجى بثوب فسلم موسى فقال الخضر ••• » الى تمام الحديث •

٢ ــ نبوة الخضر :

قال ابن كثير فى قصص الانبياء ان نبوة الخضر جاءت من سياق القصة فى القرآن •

أحدها قوله تعالى « فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما » •

الثانى قول موسى « هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا »

فاذا كان وليا ولم يكن نبيا لم خاطبه موسى بهذه المخاطبة وهو رسول ذو شأن بين الرسل •

ثالثا ــ ان الخضر أقدم على قتل غلام وذلك بوحى من الله وهذا دليل نبوته • فاذا كان وليا ما أقدم على قتل النفوس بمجرد ما يلقى فى خلده •

والرابع قول الخضر « رحمة من ربك وما فعلته عن أمــرى » وهذا لا ينافى حصول ولايته بل ولا رسالته • وأما كونه ملكا فنقول غريب جــدا •

٣ ــ الخلاف فى وجوده الى زماننا هــذا :

الأحاديث التــى وردت فى أن الخضر موجود حتى الآن كلها ضعيفة • ومن أراد المزيد فعليه بكتاب قصص الانبياء لابن كثير وكتاب عجالة المنتظر فى شرح حال الخضر لابن الجوزى •

والرأى الصحيح أنه مات • قال بذلك البخارى وأبو الحسن بن المناوى وأبو الفرج بن الجوزى وابن كثــير • ومما احتج به لذلك قول الله تعالى « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد » •

ومن ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم ــ فى حديث عبد الله ابن عمر ــ قال بعد أن صلى العشاء « أرأيتم ليلتكم هذه ؟ فانه الى مائة سنة لا يبقى ممن هو على وجه الأرض اليوم أحد » رواه البخارى ومسلم • قال ابن الجوزى : الأحاديث الصحيحة تقطع دابر دعوى حياة الخضر • ذلك أنه اذا صدقنا أن الخضر عاش حتى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فالحديث يقرر أنه لم يعش بعد مائة سنة فيكون الآن مفقودا لا موجودا لأنه دخل فى هذا العموم والأصل عدم المخصص له حتى يثبت بدليل صحيح •

وبالجملة فان الخضر عبــد من عباد الله الصالحين على نبينا وعليه الصلاة والسلام •

منصور عبد الحكيم المحامى